

الاغتراب المكاني في الشعر الجزائري الحديث

Spatial alienation in modern Algerian poetry: themes and expression

ط د: بن عبد الله عبد القادر*

Benabellah Abdelkader

قسم اللغة العربية جامعة جيلالي ليابس
(الجزائر)

benabellah.abdelkader@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/07

تاريخ القبول: 2026/05/09

تاريخ الاستلام: 2025/11/28

ملخص:

يحتل الوطن منزلة كبيرة في نفس كل إنسان وإذا ما وجد هذا الإنسان نفسه مبعدا قصرا أو نزح لظروف قاهرة فإنه يظل دائما يحمل وطنه بين جوانحه ويسكن ذاته أينما حلّ وارتحل ويعتبر الشاعر من أشد الناس تعلقا بالوطن والأمكنة بحكم إحساسه المرهف، ويطالعنا التاريخ العربي بصور من هذا التعلق تتجسد من خلال وجود الطلل والبكاء على الديار وليس بدعا أن يقع الشاعر الجزائري رهين التعلق هذا وأسيراً لمشاعر الفقد والنأي عن الوطن وما تخلفه من حنين موجب للاغتراب وسطوته النفسية .

الكلمات المفتاحية: الاغتراب. الشعر الجزائري. الشوق والحنين. الغربة. أدب السجون

Abstract:

The homeland holds a great place in every human soul, and whenever a person finds themselves distanced from it — whether due to compulsion or particular circumstances — they remain constantly longing for it and carrying it within their heart and being.

The poet is considered among the most deeply attached individuals to their homeland and places, as this attachment manifests through the poet's emotions, experiences, and visions. Arab history has always reflected this attachment in images of longing, nostalgia, and weeping over lost homes, not merely as expressions of sorrow or regret, but as symbols of deep emotional and spiritual connection.

Hence, it is natural that the Algerian poet also falls captive to this attachment, revealing feelings of loss, exile, and nostalgia through his poetry.

Keywords: homeland; alienation; longing; Algerian poetry. nostalgia

* ط د: بن عبد الله عبد القادر

مقدمة:

يعتبر الشعر عموماً سبيل الروح المعنّاة إلى البوح والتعبير عن عميق الخلجات وأصدقها، ولا يعدو الشعر الجزائري الحديث أن يكون إلا كذلك فقد كان الترجمان الحقيقي للشاعر الجزائري، يسكب من خلاله مشاعر الاغتراب وآلامه، وتعتبر مسحة الاغتراب سمة بارزة في الشعر الجزائري الحديث ولقد أخذت تمثلات موضوعاتية و أنماط متعددة في الشعر الجزائري عموماً ومن أنماطها وصورها "الاغتراب المكاني" وهو موضوع بحثنا الذي ننطلق فيه من تساؤلنا المنطقي إذا كان الاغتراب المكاني موضوعاً بارزاً بقوة في الشعر الحديث فما موضوعاته وفيه تجلّى ومن أبرز شعراءه؟.

الواقع أن الثورة التحريرية أعطت للشعراء الجزائريين وللوطن بعداً أعمق وأكبر فازداد الارتباط بالوطن بصورة كبيرة مع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، و«قد يتحول الشعور بالغربة في بيئة غير البيئة الأصلية إلى داء الحنين الذي يملك على الإنسان الغريب كل مشاعره وأحاسيسه، ولا يعرف قيمة الوطن إلا من تغرب عنه وبقدر ما تدوم الغربة يزداد لهيب الشوق فكل شيء في الغربة يذكره بوطنه».¹

فهذا 'أبو القاسم خمار' يحن إلى مراتع الصبا وأرض الوطن فيقول :

يا مرتعَ الأشباح، يا دَغَلَ المخاوفِ يا رَهينةً

يا أنت ،يا أرضَ الجزائرِ حَدِّثْني يا حَبِيبَة

هل تذكّرِين رُؤى الرّبيعِ على رَوابيكَ الحُصْبِيَة

نُوبُ السّينينَ القَانِيَاتِ رَمَتَكَ في دُنْيا غَريّة.²

إنها مشاعر اغتراب نابعة من شاعر بعيد عن وطنه وأهله ممزوجة بالأسى والرتاء لحال هذا الوطن وكيف أنه غدا مرتع أشباح بعد أن غادره أهله وكثر فيه القتل والخراب، «فالإحساس بالغربة لم يكن نتيجة للاغتراب عن الوطن فحسب إنما كان نتيجة للوضعية التي تعيشها الجزائر تحت نير الاحتلال وقسوته»³، وكما هو معلوم لا يعرف قيمة الوطن إلا من ذاق مرارة الغربة وبقدر ما يطول النأي عنه يزداد الشوق إليه رغم حفاوة المضيف وكرمه.

يقول "صالح الخرفي":

لا أَكْذِبُ التّاريخَ يا أُمّي فنُفْسي شَاكِرةٌ

لِلنَّيْلِ شَاكِرةٌ أَيّدي لا تُقَدَّرُ زَاخِرَة

لكن يا أُمّاهُ والأَيّامُ... تُطَوّي عَائِرَة

أَيّامُ غَربَةٍ شاعِرٍ آمالُهُ مُتَناثِرَة⁴

وإن كان "صالح الخرفي" وجد في "أم الدنيا" الحزن الدافئ والملاذ الآمن، فإن 'سعد الله' ما زادته القاهرة إلا حنيناً وتشوقاً إلى وطنه فيقول:

أَمْشِي وَمَحَلَّبُ الْأَسَى
يُمِيتُ الْبَسْمَةَ الْحُثُونَ عَلَى فَمِي
لَا قَلْبٌ فِي الطَّرِيقِ
لَا حُبٌ فِي الطَّرِيقِ⁵

وفي حالة التغرب هذه يفقد الشاعر الأم والوطن والأمن والراحة النفسية، فتتعمق لديه مشاعر القنوط واليأس، وعن صورة الأم ومدى حضورها في الشعر الجزائري الحديث يمكننا أن نقول أنها «تبدو باهتة ولا تكاد تذكر إلا في قصيدة يتيمة للشاعر صالح الخرفي وهي "عيد بلا أم"»⁶

أُمِّي !يُهْنِيءُ كُلَّ نَجَلٍ أُمُّهُ وَيَعَانِقُ
وَأَنَا نَصِيبِي مِنْكَ يَا أُمِّي الْخَيَالُ الطَّارِقُ
أَحْيَا هُنَا وَأَنَا لِمِرَاكٍ الْوَضِيءِ مُفَارِقُ
أُمِّي اسْأَلْنِي عَنْ حَيَاتِي فِي رُبُوعِ الْقَاهِرَةِ
عَنْ آهَاتِي، وَمَتَلَمَّلِي، عَنْ مُقَلَّةٍ لِي سَاهِرَةِ
لَكِنْ يَا أُمَاهُ وَالْأَيَّامُ تَخْطُو عَائِرَةً
أَيَّامُ غُرْبَةٍ شَاعِرُ آمَالِهِ مُتَنَائِرَةٍ
لَمْ أَحْظَ فِي الدُّنْيَا بِمَنْ يُضْفِي عَلَيَّ مَشَاعِرَهُ⁷

تظهر الصورة مؤثرة لكل مغترب عن أمه ووطنه يحل عليه العيد في الغربة، إنها صورة شاعر متأثر وحزين لموقف في أصله جميل لصورة الأمهات في شوارع القاهرة متزينات وفرحات بالعيد وسط العائلة بينما أم الشاعر تلبس ثياب الحداد تبكي ولدها الغائب عنها، إن لغة "صالح الخرفي" تتفجر عاطفة متوهجة تهيم بالوطن وتعشق الحرية وتتشوق لدفا العائلة وحزن الحبيبة، وهذا ما نقف عليه في قصيدة "نداء الضمير"

يَا حَبِيبِي، ذِكْرِيَاثُ الْأُمْسِ لَمْ تَبْرَحْ خَيَالِي .
كَيْفَ تَغْفُو مُقَلَّتِي عَنْ حُبِّنَا عَبْرَ اللَّيَالِي
لَا تَلْمَنِي، إِنْ تَرَامَتْ بِي أَمْوَاجُ الْبَعَادِ .
لَا تَلْمَنِي، لَمْ يَزَلْ يَخْفِقُ لِلْحُبِّ قُودَايَ .

وَتَرَاءَتْ لِي وَرَاءَ الصَّوْتِ أَعْلَامُ الْبَشَائِرِ .

فَوَهَبْتُ الْخُبَّ قُرْبَانًا، وَبَايَعْتُ الْجَزَائِرَ. ⁸

إنها لوعة دائمة ملازمة لهؤلاء المغتربين على مدى الأيام والأزمان لا تخف أو تنزل إلا إذا تحققت العودة التي بها تسكن هذه الأنفس المغتربة وعن هذا يقول "الأمير عبد القادر" في قصيدة "فراقك نار" بعد أن عانى المهجر و الغربة في فرنسا .

وإِنِّي - وَحَقَّ اللَّهُ - دَائِمٌ لَوَعَةٍ *** وَنَارُ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ فِي وَقْدٍ

أَلَا هَلْ لِهَذَا الْبَيْنِ مِنْ آخِرٍ :فَقَدْ *** تَطَاوَلَ حَتَّى خِلْتُ هَذَا إِلَى اللَّحْدِ

أَلَا هَلْ يَجُودُ الدَّهْرُ بَعْدَ فِرَاقِنَا *** فَيَجْمَعُنَا وَالدَّهْرُ يَجْرِي إِلَى الضِّدِّ ⁹

هذا حال من اغترب عن وطن كمثل الجزائر ،تجده في حالة اشتياق دائم ويزداد "لهيب الشوق" لديه الذي تحدث عنه "صالح خباشة" من بغداد سنة 1959 م .

نَأَى وَطَنِي الْعَزِيزُ بَرِغَمِ أَنْفِي *** وَكَمْ ذَكَرْتُ عَلَيْهِ تَرَكْتُ خَلْفِي

نَأَيْتُ عَنِ الْجَزَائِرِ طَالَ عَهْدِي *** كَأَنِّي غَبْتُ عَنْهَا مُنْذُ أَلْفِ

فَكَمْ لِي مِنْ شِتَاءٍ فِي إِغْتِرَابِي *** وَلَا قَبْسٌ مِنَ الْأَهْلِينَ يُذْنِي

أَحْبَبْتُ يَا بِلَادِي فَيْكِ أَحَبِّي *** عَزِيزَ الْجَانِبِينَ وَفَيْكِ حَنْفِي ¹⁰

يعبر " مفدي زكريا " من بيروت عن حنينه وشوقه إلى مدارج الصبا وذكريات الزمن الجميل فيقف مسترجعا أجمل الذكريات مع حيواناته وأشياءه الجميلة يقول:

هَلْ لَمْ تَزَلْ فِي الْحَقْلِ سُنْبُلِي الَّتِي *** غَرَسْتُ؟ وَهَلْ فِي الْحَقْلِ زَنْبَقِي الْحُمْرَاءُ

وَهَلْ لَمْ يَزَلْ فِيهَا دَجَاجِي وَقَطَّيْ *** وَكَلْبِي (توتو) - رَابِضًا يُشْبِهُ النَّمْرَ

وَمَكْتَبَتِي وَالشَّعْرُ وَالْعُرْفَةُ الَّتِي *** أَحَاطَ بِهَا (كوهين) فِي جَوْفِهَا طُهْرًا

مَشَاهِدُ يَفْنَى الدَّهْرُ وَهِيَ خَوَالِدُ *** تُذَكِّرُنَا أَشْبَاحَهَا الْحُلُوَ وَالْمُرَا ¹¹

ويعتبر الشاعر 'مبارك جلواح' من الشعراء الجزائريين الذين عانوا مرارة الغربة كيف لا وهو الذي عانى السجن والغربة (في فرنسا) فغدا يحيط وطنه بهالة من القداسة تبقى معها روحه خالدة متعلقة بهذا الوطن إلى آخر حياته .

فَلَيْنَ طَوْتُ عَنْكَ النَّوَى تَحْتَ *** الرَّحَى شَبَحِي وَأَلَوْتُ عَنْ رُبَاكِ زِمَامِي

فَالرُّوحُ يَا وَطَنِي الْمُقَدَّسُ لَمْ تَزَلْ *** حَتَّى الْقِيَامَةِ فَيْكِ ذَاتُ مَقَامِي ¹²

"لقد عانى الشاعر الغربية وكابد الشوق إلى وطنه الجزائر، مثلما بدا في وضع قاس في مدينة باريس هائما في شوارعها، مناجيا نهرها (السين: *la seiene) ¹³

كَمْ باتَ حولَكَ من فُؤادي دامي *** يَشْكُو إليك كَوا مِن الآلام
يا رَقصَ الأمواجِ في حُضنِ الصِّبا *** والليلُ ساجٍ والورى بمنام
لم يَبْقَ لي يا (سين) في ذِي الكونِ من *** خَدِنِ يصانِعني ولو بِكلام
صَدَّ الرِّفاقُ جميعهم لَمَّا رأوا *** ألا بقاءَ لثروتي وخطامي ¹⁴

لقد عبر شاعرنا بصدق عما يضح به من يأس وشوق وحنين إلى وطنه، وتعتبر تجربته مأساة رجل وأديب و صاحب حس مرهف، ذهب ضحية لهذه المثل النبيلة وسط تناقضات الواقع، وبقى في نفس دائرة الشوق إلى الوطن والذكريات إلى مراتع الصبا مع شاعر مغترب هو الآخر انه أبو "القاسم خمار" فيقول:

حقاً لقد هاجتْ بقلبي حَفَقَةُ نَحْوِ الوَطَنِ
وَتَحَرَّكَ الشَّوْقُ الدَّفِينُ بمهجتي يُذَكِّي المَحَنَ
وتراجعتْ ذَكَرى خَيْلي عَبْرَ قَافِلَةِ الزَّمَنِ
أين التَّخيلُ وأين هاتيكِ الظَّلَالُ والسُّهُولُ
وفراشَةُ الحَقْلِ المَليحة حَوْلَ أحلامي تَحُولُ. ¹⁵

واقع الحال إن الاغتراب المكاني لا ينحصر في النزوح عن الوطن و اختيار المنفى أو الاضطراب لذلك في حالة النفي القسري ، وإنما هناك سلاح استعماري استعملته فرنسا للتعذيب الجسدي والنفسي ألا وهو السجن و الإقامة الجبرية ولهذا كان الاغتراب المكاني نأي عن الوطن وسجن وإقامة جبرية كلها تولد إحساسا قاتلا بالغربة المكانية.

ولا يمكن لأي منصف أن يماري أو يجادل في مسألة الاغتراب في شعر السجون ذلك أنه يشمل على فقد الحرية وحد للحركة، أضف إلى ذلك تعذيب نفسي وجسدي، ونجد في تراثنا نماذج شعرية تفيض إحساسا وعاطفة، ومعاناة نتيجة الأسر والسجن وما ذكرى المعتمد بن عباد. في الأندلس بغائبة عن أذهاننا وكذا صاحب المعلقة طرفة بن العبد وأبو فراس الحمداني الذي أبدع وهو في "خرشنة"، شعر الروميات أو الأسريات.

ويقابل كل هذا نماذج جزائرية، من "الأمير عبد القادر" إلى "مفدي" و"جلواح" و"أحمد سحنون" ،كلها نماذج تتعدد وتجارب ونفسيات تتفاوت في معاناتها وفي تعبيرها عن هذه الغربة، فالشاعر "أحمد

سحنون"، ظل طيلة فترة سجنه يحمل ذكرى وطنه وأهله بين جوانحه ويضمها إلى قلبه كما ضمت جدران السجن جسده يقول:

كلُّ شَيْءٍ نَسِيتُهُ يا بلادي *** وتَلَاشَتْ أَطْيَافُهُ من فُؤادي
غيرَ ذِكْرِكَ فهي تَكْمُنُ في *** قَلْبِي كُمُونُ اللَّطَى بِقَلْبِ الرِّمَادِ
يا بلادي يا أرضَ أَهْلِي وأَحْبَابِي *** ومَأْوَى الأَسْوَدِ من أَجْدَادِي
وَحَمَى مَوْلَدِي ونَشَأَتِي الأولى *** ومَثْوَى آبَائِي لِلْأُمُجَادِ
يا بلادي هَوَاكَ نَجْوَايَ في *** سِرِّي وَجَهْرِي وَ يَفْظَتِي وَرُقَادِي
طَالَ شَوْقِي إِلَيْكَ واشْتَدَ ما *** أَلْقَاهُ من صُرُوفِ النَّوَى والبَعَادِ
هَلْ سَبِيلٌ إِلَى اللَّقَاءِ لِلْمُبْعَدِ *** المَدْنَفِ الحَشَى مِنْ مَعَادٍ¹⁶

إنها زفريات أسمى وشوق ونغمات حنين تشجي الغريب وتحيج مشاعره نحو بلده ونحسبها صادقة تعبر عن صدق في ووعي وحس كبير بالوطن، كقيمة إنسانية وضرورة حياتية، و«أن شعر الغربة والحنين داخل السجن الفرنسية في الجزائر حلقة في تلك السلسلة الطويلة الممتدة عبر الأجيال العربية، التي كابدت الذل والغربة في أوطانها». ¹⁷ إن غربة السجن هذه احتلت مساحات شاسعة في قلوب ونفوس الجزائريين و إنه للأمانة العلمية والحقيقة التاريخية، إن فرنسا حولت الجزائر كلها إلى سجن كبير تقاسم فيه الشعب إرث التعذيب والاغتراب داخل وطنه، ونحن في هذا المقام لسنا نورد إلا القليل من النماذج الشعرية نعبّر فيها مساحات هذا الحزن ونسبر أغوار هذه الأنفس المعذبة.

«ولقد سبق وأن رأينا "أحمد سحنون" في غربته الفكرية والنفسية كثر الشكوى وصاحب عزلة ناغم على بني جلدته، لكن غياهب السجن جعلته ربما يعيد تصحيح موقفه هذا فهو من خلف الجدران يناجيهم ويثبهم شكواه وهمومه»¹⁸.

اصْدَحِي يا بِلَابِلَ الأَدْوَا حِ لِعِناقِ القُلُوبِ والأَرْوَاحِ
أُنْشِدِي لَطُوعِ نَجْمٍ من الصَّخْبِ نَشِيدَ السُّرُورِ والارْتِيَا حِ
لِيسَ كالأَصْدَقَاءِ في الحَظْبِ والأَيَّامِ بالأَصْدَقَاءِ جُدْ شَحَا حِ¹⁹

كما أن الذي يقف على قصيدة "يا لها غربة" يجدها تفيض بمشاعر الحب للوطن حيث يقول "أحمد سحنون":

يا لَهَا غُرْبَةٌ الأوطانَ نَبَّهَتْ ما عَفَا مِنْ الأشْجَانِ

عُرْبَةٌ ضُوعِفَتْ بِنَفْيٍ وَسِجْنٍ وَتَنَاهَتْ بِقَسْوَةِ السَّجَانِ
شُلَّ فِيهَا فِكْرِي وَأَجْدَبَ إلهَامِي وَأَوْدَتْ بِحِكْمَتِي وَبَيَانِي
وَقَرِيبُي قَدْ عَقْنِي، وَتَلَا شَتَّ بَيْنَ جُذْرَانِهَا صَدَى الْحَيَانِي²⁰

لقد كانت سلوى الشعراء في غربتهم هذه (السجن) ووسيلتهم في التنفيس عن همومهم هي التوسل الذي كثيرا ما كان يلتجأ إليه الأمير عبد القادر في الأسر بسجن (لامبواز) للتخفيف عن نفسه ، ويقول في قصيدة عذاب الأسر .

قَلْبِي الْأَسِيرُ لَدَيْكُمْ وَالْجِسْمُ فِي *** أَسْرَ الْعِدَاةِ مُعَذَّبًا وَمَكْتَنَفًا
حَشَاكُمْ الْجَمِيلُ ظَنِّي فِيكُمْ *** أَنْ تُشْمِتُوا فِيَّ الْعَدُوَّ الْمَرْجَفَا²¹
وفي قصيدة "أعربي قلب" التي قالها في أسره عندما لجأ إخوته إلى المغرب مشاعر الأسي لهذا الفراق والبين يقول:

أَلَا إِنَّ قَلْبِي يَوْمَ نَبْتُكُمْ وَسِرْتُمْ *** غَدَا حَائِمًا خَلْفَ الظُّعُونِ يَطِيرُ
يُقَاسِي مَرَارَ الْمَوْتِ مِنْ أَلَمِ الْجَوَى *** فَمَالِي إِلَّا أَنَّهُ وَزَفِيرُ²²
لكن الأمير يخونه الصبر ويشند شوقه فيقول:
فَحَانَ الدِّيُّ أَعْدَدْتُهُ لِفِرَاقِكُمْ *** وَوَلَّتْ جُيُوشُ الصَّبْرِ وَهِيَ عَرُورُ
فَلَوْ أَنَّكُمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ أَعَزَّمْتُمْ *** قُلُوبَكُمْ لِي فِي يَوْمِ صَبُورِ²³

إن ديوان الأمير عبد القادر حافل بهذا اللون الشعري فهو كثير التوسل والشكوى ، وقد كانت له الكثير من المساجلات والمراسلات من سجنه في فرنسا وكذا بتركيا لعائلته وأصدقائه "كالشاذلي القسنطيني" و"قدور بن الرويلة" .

وتشتد غربة "جلواح" ومحنته وهو في السجن وتحبجه الأشواق لأبنائه في الوطن ، فيزداد إحساسه بالوحدة والعزلة وهذا ما نلمسه في أبياته التي صور فيها كل ذلك بدقة متناهية فنجده يقول :

ثُمَّ أَلْقَيْتَ بِي فِي قَعْرِ جُبٍّ *** مُنْزَوِي عَنْ لِحَاطِ كُلِّ مُؤَسِي
أَقْطَعُ الْعُمُرَ فِي دُجَاهٍ وَحِيدًا *** ذَائِبُ الْقَلْبِ بَيْنَ لَسَعٍ وَهَسٍ
كَانَ لِي فَتِيَّةٌ إِذَا مَا احْتَفَتَ بِي *** أَرْزَلَفَ الدَّهْرُ لِي بِتَقْبِيلِ رَأْسِي
لُفِحَتْ بِالنَّوَى وَتَفَرَّقَ شَعْثِي *** مِنْ وَرَاءِ الْيَمِّ بَيْنَ حُزْنٍ وَهَسٍ
وَذَرْتَنِي أَسْأَلُ الْبَدْرَ عَنْهَا *** فِي الدِّيَاجِي وَفِي الضَّحَى قَرْنَ شَمْسِي²⁴

وهذا "مفدي زكريا" يرسلها كأشعة الشمس دافئة حسنا وشوقا إلى سلوى في منجاة شغلت وحيرت الدارسين حملها حزنا وألما، ونحن لن تشغلنا سلوى أكانت هي الوطن أم الحبيبة ذاك أن كلاهما واحد في أذهاننا أو قل كبير يحتوي ضمنه أصغر .

رُبَّ نَجْوَى كدنيا الحب دافئة *** قَدْ نَامَ عَنْهَا رَقِيبِي لَيْسَ يَسْتَرْقُ
عَادَتْ بِهَا الرُّوحُ مِنْ سَلْوَى مُعْطَرَةً *** فَالسَّجْنُ مِنْ ذِكْرِ سَلْوَى كُلُّ عَيْقُ
سَلْوَى أُنَادِيكَ سَلْوَى مِثْلَهُمْ خَطَأً *** لَوْ أَنَّهُمْ أَنْصَفُوا كَانَ اسْمُكَ الرَّمَقُ
يَا فَتْنَةَ الرُّوحِ هَلَّا تَذْكُرِينَ فُتًى *** مَا ضَرَّهُ السَّجْنُ إِلَّا أَنَّهُ وَمِيقُ
سَلْوَى أُنَادِيكَ سَلْوَى هَلْ تُجَاوِئِي *** سَلْوَى فَإِنَّ لِسَانِي بِاسْمِهَا ذَلِقُ²⁵

إنها لوحة عاطفية جميلة من قعر زنزانة، و منجاة عذبة تجسد مأساة السجن ومشاعر العشق والغرام ولا يمكننا أن نحكم بأن سلوى حبيبته أو وطنه كلاهما واحد والتغني بهما واحد وبنفس الحرارة المتدفقة تجاه المرء تكون الحرارة والشوق إلى الوطن .

إن الشعراء وهم في الأسر أو في الغربة بعيدا عن الوطن والديار لا يبرحون يناجون الطبيعة بكل تماثلاتها وعناصرها فنجدناهم يناجون الحمام وأبي المنقوش كما هو حال "محمد العيد" و"الجنيد أحمد المكي" الذي كان له غزال في غربته يناجيه ويواسيه ونجده يقول في هذا المقام .

لَمَّا رَأَيْتُ نَفُورًا *** وَ الْخَيْبُ دَاءٌ عُضَالُ
خَطَبْتُ لِلْوَحْشِ وَدًّا *** فَجَاءَ مِنْهُ غَزَالُ
وَاسِي "سُهَيْلٌ" غَرِيبًا *** جَفَاهُ خَلٌّ وَخَالُ²⁶

يبدو واضحا كيف أن الشاعر لم يجد إلا سهيل وهو اسم أطلقه على غزاله في غربته هذه ليواسيه ويألف به بعد أن وجد نفسه في الغربة وحيدا وقد جفاه الأهل والخلان، «ولمحمد العيد قصيدتان يتيماتان هما "أبا المنقوش" و"منجاة بين أسير وأبي بشير"، وفيهما يكشف عن توقه وحنينه على الحرية والاستقلال وقد جاءت قصيدته "منجاة بين أسير وأب بشير" تحمل شيء من هذا المفهوم للكشف عن إحساس حاد بضيق والاستعباد»²⁷.

جَزَمْتُ بِقُرْبِ إِطْلَاقِ الْأَسِيرِ *** غَدَاةً سَمِعْتُ صَوْتَ (أبي بشير)
وَجِئْتُ أَبْنَى نَجْوَى سِرًّا *** وَمِنْ لِلْحُرِّ بِالصَّوْتِ الْجَهِيرِ
أُنَاجِيهِ بِأَمَالِي وَحَالِي *** وَأَسْتَفْتِيهِ عَنْ شَعْنِي الْكَسِيرِ
كَمَا نَاجَا الْأَمِيرَ أَبُو فِرَاسٍ *** حَمَامَتُهُ بِشَعْرِ مُسْتَشِيرِ²⁸

إن محمد العيد يبدو من خلال هذه الأبيات يبدو متفائل بقرب الحرية ورفع الإقامة الجبرية عنه ليعود إلى سابق عهده حراً طليقاً غير أنها مناجاة تحتزن ورائها حزناً على حال الوطن ككل وليس حاله هو فقط وواضحة صورة التناسل الجمالي والروحي مع أبي فراس، إنه استدعاء للتاريخ وتوظيف للتراث يزيد من عمق التجربة الشعرية عند محمد العيد، وفي قصيدة أبا المنقوش يناجي هذا الجبل وهو الذي يقع على مشارف ولاية بسكرة .

أبا المنقوش هل تدري بحالي *** فأنت اليوم جار في الجبال
ببسكرة النخيل حططت رجلي *** وأنت بأرضها حامي الرّحال
رماني حول سفحك موج دهرني *** أسيراً بعد أحداث طيول
فعيشت به كيونس في سقام *** لدى قومي ولكن في انغزالي²⁹

إن محمد العيد وهو في إقامته الجبرية يقدم للمتلقى نموذجاً حياً وخالداً في الحنين إلى الإنعتاق وتعبير حقيق عن مرارة تجربة الأسر والاستعمار ككل، إنه صرخة تتعدى كما سبق لنا الذكر التجربة الشخصية إلى مستوى أكبر هو المأساة الوطنية .

4. خاتمة:

كانت هذه إطلالة سريعة وموجزة عن صورة من صور الاغتراب المكاني كسياق شعري وموضوعة حاضرة في الشعر الجزائري.

يتضح من خلالها أن الغربة المكانية فقد انحصرت في طائفة قليلة ومحدودة من الشعراء وكانت إما نتيجة لسفر هؤلاء للخارج للدراسة أمثال "بلقاسم خمار"، "صالح الخرفي" و"سعد الله أبو القاسم" و"السائي"، أو نتيجة أعمالهم وكتاباتهم زجت بهم فرنسا في سجونها أو فرضت عليهم الإقامة الجبرية أمثال "الأمير عبد القادر"، "محمد العيد"، "الربيع بوشامة"، "مفدي زكريا"، "رمضان حمود"...

ولقد تميزت نصوص هؤلاء المغتربين بالحنين والشكوى من ألم الفراق كما حملت هم الوطن ورسالة الثورة إلى الخارج

5- الهوامش:

- ¹ - عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث 1945-1962، منشورات جامعة باتنة، دط، الجزائر: 1997، ص134.
- ² - بلقاسم خمار : أوراق ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر: 1982 م، ص16.
- ³ - شلتاغ عبود: حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1985م، ص101.
- ⁴ - صالح الخرفي: أطلس المعجزات، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر: 1982 ص95.
- ⁵ - أبو القاسم سعد الله: الزمن الأخضر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر: 2010م، ص399.
- ⁶ - ينظر: عمر بوقرورة ، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث 1945-1962، منشورات جامعة باتنة، دط، الجزائر: 1997، ص138.
- ⁷ - صالح الخرفي: أطلس المعجزات، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر: 1982 صص95-96.
- ⁸ - المصدر نفسه، صص193-194.
- ⁹ - الأمير عبد القادر الجزائري : الديوان، تحقيق وتقديم، العربي دحو، منشورات ثالثة ، ط3، الجزائر: 2007 ، صص60-61.
- ¹⁰ - الصالح خباشة: الروابي الحمر، منشورات أرتيستيك ، ش.م.م دار الأخبار للصحافة، القبة، ط2، الجزائر: 2007، صص103-104.
- ¹¹ - مفدي زكريا: اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2، الجزائر: 1991، ص315.
- ¹² - عبد الله الركيبي: الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار، دار الكتاب العربي، دط، القبة، الجزائر: 2009 ص399.
- * نهر السين: يوجد في فرنسا ، يرتبط في أذهان الجزائريين بمظاهرات 11 ديسمبر 1961 م
- ¹³ - عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث، تاريخاً، وأنواعاً، وقضايا، وأعلاماً، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر: 1995م، ص86.
- ¹⁴ - عبد الله الركيبي: الشاعر جلواح ، من التمرد إلى الانتحار، دار الكتاب العربي، دط، القبة، الجزائر: 2009 ص403.
- ¹⁵ - بلقاسم خمار: ريعي الجريح، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر: 1970م، ص72.
- ¹⁶ - أحمد سحنون: الديوان ، منشورات الحبر، ط2، الجزائر: 2007 ص92.
- ¹⁷ - عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث 1945-1962، منشورات جامعة باتنة، دط، الجزائر: 1997، ص84.
- ¹⁸ - المرجع نفسه، ص99.
- ¹⁹ - أحمد سحنون: الديوان، منشورات الحبر، ط2، الجزائر: 2007، ص71.
- ²⁰ - المصدر نفسه: الديوان ، ص86.
- ²¹ - الأمير عبد القادر: الديوان، تحقيق وتقديم، العربي دحو، منشورات ثالثة ، ط3، الجزائر: 2007 ، ص88.
- ²² - المصدر نفسه، ص89.
- ²³ - نفسه ، ص89.
- ²⁴ - عبد الله الركيبي: . الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار، دار الكتاب العربي، دط، القبة، الجزائر: 2009، ص340.
- ²⁵ - مفدي زكريا: اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2، الجزائر: 1991، ص22.
- ²⁶ - محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، دط، ج1، الجزائر: 2007، صص187-188.

- ²⁷-عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث 1945-1962، منشورات جامعة باتنة، دط، الجزائر: 1997، ص115
- ²⁸-محمد العيد آل خليفة ،الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، الجزائر: 2010 ص422.
- ²⁹- المصدر نفسه، ص425.

6. قائمة المراجع:

1. الشيخ أحمد سحنون:الديوان، منشورات الحر، الجزائر، ط2، 2007.
2. الأخضر السائحي: محمد الأمين العمودي ،الشخصية المتعددة الجوانب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.
3. الأمير عبد القادر الجزائري : الديوان، تحقيق وتقديم، العربي دحو، منشورات ثالة ، الجزائر، ط3، 2007
4. بلقاسم خمار :
-أوراق ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982،
-ربيعي الجريح، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1970،
5. الربيع بوشامة:الديوان، جمال قنان ، المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار، الرويبة، الجزائر، دط، 1994م
6. رمضان حمود: بذور الحياة، مطبعة الاستقامة، تونس، دط، 1928م
7. ريتشارد شاخ: مستقبل الإغتراب ،ترجمة، وهبة طلعت أبو العلا، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 2001م
8. سميرة سلامي: الإغتراب في الشعر العباسي، القرن 4هـ، دار الينابيع ،دمشق، ط1، 2000م،
9. شريف مريعي: شعر عبد الكريم العقون، وزارة الثقافة، الجزائر، دط، 2007
10. شلتاغ عبود: حركة الشعر الحر في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، دط، 1985م
11. صالح الخزفي :
-أطلس المعجزات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982،
-محمد العيد آل خليفة، وزارة الثقافة الجزائرية، دط، 2007 م.
-شعراء من الجزائر ،معهد البحوث والدراسات العربية، 1969
-الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، دط، 1984م
-محمد سعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، دط، 1986م
- رمضان حمود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985م،
12. الصالح خباشة: الروابي الحمر، منشورات أرتيستيك ،ش.م.م دار الأخبار للصحافة ،القبة، الجزائر، ط2، 2007.
13. عبد الله الركبي :

- الشاعر جلواح من التمرد إلى الإنتحار، دار الكتاب العربي ، الجزائر، دط، 2009م.
- دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، القبة ، الجزائر، دط، 2009
14. عبد الله شريط: الرماد ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م
15. عزيز السيد جاسم: تأملات في الحضارة والإغتراب ، دار الأندلس، بيروت ، لبنان، ط1، 1987، 1
16. عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث، تاريخاً، وأنواعاً، وقضايا، وأعلاماً، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995م
17. عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري-1945-1962م، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، دط، 1997م.
18. أبو القاسم سعد الله: الزمن الأخضر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2010، 3م
19. محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، دط، 2010م.
20. محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ت، عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ج2، 2007،
21. محمد الهادي بوطارن: رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007،
22. محمد زتيلي : الأعمال الشعرية، وزارة الثقافة، الجزائر، دط ، 2007م،
23. محمد ناصر:
- الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط2، 2006
- رمضان حمود، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1985
24. مفدي زكريا : اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجائر، ط1، 1991، 2.
25. ناصر بوحجام : أثر القراءان الكريم في الشعر الجزائري (1925- 1976) المطبعة العربية، الجزائر، دط، ج1، 1999، 1
26. وهب أحمد رومية : شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، دط، 1996 م
27. يحيى الجبوري : الغربة والحنين في الشعر العربي، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 2008م.
28. يحيى العبد الله: الإغتراب ، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلوان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 2005